دلالة الحروف الجر والعوامل النحوية في القرآن الكريم: دراسة نحوية وحجاجية

The Significance of Prepositions and Grammatical Elements in the Qur'an: A Syntactic and Argumentative Study

أ. **عبدالله غرمان العمري:** باحث في مرحلة الدكتوراه، تخصص اللغويات، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

د. ماجد بن هلال العصيمي: أستاذ مشارك في قسم اللغويات، جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

Mr. ABDULLAH GHRMAN ALAMRI*: PhD Researcher in Linguistics, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.*
Email: abdullhamri99@gmail.com

Dr. MAJED HELAL ALOSIMI: *Associate Professor, Department of Linguistics, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.*

Doi: https://doi.org/10.56989/benkj.v6i3.1812

تاريخ الاستلام: 2026-01-20 تاريخ القبول: 2026-02-08 تاريخ النشر 2026-03-01

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دلالة حروف الجر والعوامل النحوية في القرآن الكريم، والكشف عن وظائفها النحوية والحجاجية في بناء المعنى وتوجيه الخطاب القرآني. وتنطلق الدراسة من فرضية مؤداها أن الحروف النحوية في النص القرآني لا تؤدي وظيفة تركيبية محضة، بل تضطلع بدور دلالي وإقناعي فاعل، يسهم في تحقيق المقاصد البلاغية والتربوية والتوجيهية للنص. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مدعومًا بالمنهج الاستقرائي والمقارن، من خلال دراسة نماذج تطبيقية مختارة من سور القرآن الكريم، ولا سيما سور آل حم، للكشف عن آليات توظيف الحروف في السياقات المختلفة. وأظهرت نتائج الدراسة أن حروف الجر، مثل: الكاف، ومن، والباء، وفي، وعلى، وإلى، وعن، تؤدي أدوارًا حجاجية متعددة، من أبرزها: التوكيد، والتدرج، والمقارنة، والاستعارة، والتعليل، والتخصيص، بما يسهم في توجيه المتلقي وبناء قناعة مقصودة لديه. كما بيّنت الدراسة أن أساليب النفي والاستثناء تعزز من فاعلية الخطاب القرآني في ضبط الدلالة وتحديد الفئة المستهدفة. وتخلص الدراسة إلى تأكيد التكامل العميق بين البنية النحوية والوظيفة الحجاجية في القرآن الكريم، بما يبرز دقة النسق اللغوي القرآني وقدرته العالية على الإقناع والتأثير.

الكلمات المفتاحية: الحروف النحوية، حروف الجر، الحجاج اللغوي، الخطاب القرآني، الدلالة النحوية، الوظيفة الحجاجية، الإقناع اللغوي، البلاغة القرآنية، تحليل الخطاب، التداولية اللغوية

Abstract:

This study aims to analyze the semantic functions of prepositions and grammatical particles in the Qur'anic text and to uncover their syntactic and argumentative roles in constructing meaning and guiding Qur'anic discourse. The study is based on the assumption that grammatical particles in the Qur'an do not merely perform structural functions, but rather play an effective semantic and persuasive role that contributes to achieving the rhetorical, educational, and directive purposes of the text. Adopting a descriptive-analytical approach supported by inductive and comparative methods, the research examines selected applied models from the Qur'an, particularly from the *Ḥā-Mīm* chapters, in order to reveal the mechanisms through which particles are employed across different contexts. The findings demonstrate that prepositions such as *kāf*, *min*, *bi*, *fī*, *ʿalā*, *ilā*, and *ʿan* perform multiple argumentative functions, including emphasis, gradation, comparison, metaphor, causation, and specification, thereby contributing to guiding the recipient and shaping intended conviction. The study also shows that negation and exception structures enhance the effectiveness of Qur'anic discourse in regulating meaning and identifying the targeted audience, and it concludes by affirming the deep integration between syntactic structure and argumentative function in the Qur'an, highlighting the precision of the Qur'anic linguistic system and its remarkable capacity for persuasion and influence.

Keywords: Grammatical particles, Prepositions, Linguistic argumentation, Qur'anic discourse, Syntactic meaning, Argumentative function, Linguistic persuasion, Qur'anic rhetoric, Discourse analysis, Linguistic pragmatics.

المقدمة:

تعتبر الحروف في اللغة العربية من العناصر الأساسية التي تحدد بنية الجملة ومعناها، فهي بمثابة اللبنات الأساسية التي تُبنى عليها التركيبات اللغوية، وتعمل على تنظيم العلاقات بين الكلمات وتحديد وظيفة كل كلمة ضمن السياق العام للجملة. وتكتسب هذه الحروف أهمية مضاعفة في النصوص القرآنية، حيث لا تقتصر وظيفتها على الجانب النحوي فحسب، بل تمتد لتؤدي أدوارًا حجاجية وإقناعية دقيقة، تتداخل فيها اللغة مع البلاغة والفكر الشرعي، بما يسهم في توجيه المتلقي نحو فهم المقاصد القرآنية بصورة دقيقة ومؤثرة.

الحروف الجر والعوامل النحوية في القرآن الكريم تمثل جزءًا لا يتجزأ من البناء اللغوي للنص القرآني، فهي تتحكم في العلاقة بين الأسماء والأفعال وتحدد أسلوب الربط بين الجمل، كما تعمل على ضبط معنى الكلمات بما يتوافق مع السياق القرآني. ولعل ما يميز النص القرآني هو دقة اختيار هذه الحروف، بحيث لا يقتصر دورها على إبراز الوظائف النحوية فحسب، بل تمتد لتخدم المقاصد البلاغية والحجاجية، فتقود القارئ أو السامع نحو إدراك المعاني المقصودة بوضوح وإقناع.

كما أن دراسة الحروف النحوية في القرآن الكريم تتيح لنا فهم أسلوب التعبير القرآني، واكتشاف كيفية توظيف اللغة بطريقة ذكية لإيصال الرسائل الشرعية والأخلاقية والاجتماعية. فمثلاً، يمكن للحرف الواحد مثل "الباء" أو "من" أن يغير تمامًا دلالة الجملة وأن يوجه القارئ نحو فهم العلاقة بين السبب والمسبب أو بين الفعل والمفعول به، بما يعكس براعة القرآن في استخدام اللغة لتحقيق غايات متعددة في آن واحد.

تستهدف هذه الدراسة تحليل الحروف الجر والعوامل النحوية في القرآن الكريم، مع التركيز على أهميتها في بناء المعنى وإيصال الرسائل الحجاجية والتوجيهية. من خلال هذا التحليل يمكن التعرف على كيفية استثمار اللغة لتحقيق أهداف بلاغية وتعليمية، وتبيين العلاقة المتينة بين البنية النحوية والوظيفة الحجاجية للنص القرآني. كما تسعى الدراسة إلى إبراز الدور المحوري لهذه الحروف في التدرج المعنوي، والتوكيد، والتخصيص، والتفسير القرآني للنصوص، ما يجعل هذه الحروف أداة فاعلة في توجيه الفكر البشري نحو فهم المقاصد العليا للنصوص القرآنية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

على الرغم من كثرة الدراسات اللغوية والبلاغية التي تناولت نصوص القرآن الكريم، إلا أن هناك جوانب لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتحليل، لاسيما فيما يتعلق بالعلاقة الدقيقة بين العاملية النحوية للحروف ووظائفها الحجاجية في النص القرآني. فقد ركزت بعض الدراسات السابقة

على الجوانب النحوية أو البلاغية بمعزل عن بعضها، ما أدى إلى غموض نسبي حول كيفية استثمار الحروف النحوية في تحقيق الأهداف الحجاجية والإقناعية للنص.

تتجلى أهمية هذه المشكلة في أن الحروف، على الرغم من صغر حجمها، تلعب دورًا مركزيًا في بناء المعنى وتنظيم العلاقات بين الكلمات والجمل، وهو ما يجعلها أداة فعالة في توجيه المتلقي نحو فهم المقاصد القرآنية. فالتحليل الدقيق لهذه الحروف يُمكّن الباحث من فهم آليات الإقناع والتوجيه في القرآن الكريم، وبيان كيف يمكن لعامل نحوي بسيط أن يحقق أثرًا بلاغيًا وحجاجيًا بالغ الأهمية.

لذلك، تركز هذه الدراسة على مجموعة من التساؤلات البحثية الجوهرية التي تسعى إلى الإجابة عليها من خلال التحليل اللغوي والبلاغي للنصوص القرآنية، وهي:

1. ما هي دلالات الحروف الجر المختلفة في القرآن الكريم على الصعيد النحوي؟
2. كيف تتفاعل هذه الحروف مع البنية النحوية للجملة لتكوين أثر حجاجي؟
3. ما هي أبرز الاستراتيجيات الحجاجية التي تستفيد من العاملية النحوية في القرآن الكريم؟
4. كيف تساهم هذه الحروف في توجيه المتلقي وإقناعه برسائل القرآن؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على جمع نصوص قرآنية تتضمن حروف الجر والعوامل النحوية، ثم تحليلها لغويًا ونحويًا وحجاجيًا. كما تم توظيف المنهج الاستقرائي في استخراج القواعد والحكم النحوية، ومنهج المقارنة لتوضيح الفروق في الدلالة بين الحروف واستخداماتها المختلفة.

أهداف الدراسة:

من خلال الإجابة على تساؤلات الدراسة، تهدف الدراسة إلى سد الفجوة البحثية بين الجانب النحوي والجانب الحجاجي، وإظهار العلاقة المعقدة بين البنية اللغوية والوظيفة البلاغية، وهو ما يعزز فهمنا لطريقة استعمال اللغة في النص القرآني لأغراض تعليمية وحجاجية دقيقة. وفيما يلي تحديدا أكثر لأهداف الدراسة:

1. تحديد الوظائف النحوية المختلفة لحروف الجر في القرآن الكريم.
2. تحليل الأثر الحجاجي لاستخدام الحروف في توجيه المتلقي.
3. إبراز العلاقة بين البنية النحوية والمعنى القرآني.
4. تقديم قراءة متكاملة للجانب الحجاجي في النص القرآني.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الدور الحيوي الذي تلعبه الحروف النحوية في النص القرآني، سواء على المستوى اللغوي أو البلاغي، حيث أنها تمثل جسورًا تربط بين البناء النحوي والمعنى الحجاجي للنص. ويمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

1. إثراء البحث اللغوي والنحوي في القرآن الكريم:

تسهم هذه الدراسة في تعميق الفهم العلمي للبنية النحوية للنص القرآني، خاصة فيما يتعلق بالحروف الجر ووظائفها في الجملة. فالدراسة الدقيقة لهذه الحروف تكشف عن العلاقات التركيبية بين الكلمات والعبارات، وتبرز الطريقة التي يحقق بها القرآن الدقة في التعبير والدلالة. كما أن التركيز على العاملية النحوية لهذه الحروف يوفر إضافة نوعية للبحوث اللغوية السابقة، ويساعد الباحثين على توسيع معرفتهم بالقواعد النحوية من خلال تطبيقها على النص القرآني بطريقة تحليلية وعلمية.

2. توضيح الأبعاد الحجاجية للنص القرآني:

تعد هذه الدراسة جسرًا يربط بين النحو والبلاغة، حيث تبين كيف تستخدم الحروف النحوية كأدوات حجاجية دقيقة. فهذا الفهم يساعد في كشف الطرق التي يوظف بها القرآن اللغة لإقناع المتلقي، وتوجيهه نحو المبادئ والأحكام الشرعية والأخلاقية. بالتالي، تصبح هذه الدراسة مرجعًا مهمًا للباحثين في مجال البلاغة والتفسير، إذ تقدم رؤية واضحة عن العلاقة بين البنية النحوية للألفاظ وبين الرسائل الحجاجية التي يحملها النص.

3. تقديم نموذج لفهم دور اللغة في التوجيه والإقناع:

اعتبار نتائج الدراسة نموذجًا عمليًا يوضح كيف يمكن للغة، حتى في أصغر عناصرها مثل الحروف، أن تكون وسيلة فعالة في الإقناع والتوجيه. هذا النموذج لا يقتصر على النصوص الدينية فقط، بل يمتد إلى النصوص الأدبية والتربوية، حيث يمكن الاستفادة من هذا التحليل لفهم كيف يُستثمر التركيب اللغوي لصياغة رسائل حجاجية مقنعة وواضحة. كما أن هذا يسهم في تدريب الدارسين والمهتمين باللغة على قراءة النصوص قراءة متأنية، وفهم الوسائل التي توظفها اللغة لتشكيل الفكر والتأثير في المتلقي.

من هذا المنطلق، تتجاوز أهمية الدراسة مجرد الجانب النظري، لتصل إلى بعد تطبيقي وعلمي يعزز فهمنا للغة العربية في أرقى صورها التعبيرية، ويكشف كيف تساهم العناصر النحوية الدقيقة في بناء النص القرآني بطريقة تحقق الأثر الإقناعي والبلاغي المنشود.

المبحث الأول: عاملية أحرف الجر:

من أبرز أحرف الجر ذات الوظائف الحجاجية في سور آل حم ما يلي:

1- كاف الجر:

هو حرف ملازم لعمل الجر. والدليل على حرفيته أنه على حرف واحد. والاسم لا يكون كذلك. وأنه يكون زائدا والأسماء لا تزاد (الجنى الداني، ص78).

أما مجيء الكاف زائدة في سور آل حم، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿**فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: 11]. فالكاف هنا زائدة عند أكثر العلماء والمعنى ليس مثله شيء. قالوا: " لأن جعلها غير زائدة يفضي الى المحال إذ يصير معنى الكلام ليس مثل مثله شيء. وذلك يستلزم إثبات المِثل، تعالى الله عن ذلك. وزيادتها في كلام العرب غير قليلة " (الجنى الداني، ص86-87).

وقال ابن مالك: "وقد تزاد إن أمن اللبس بكون الموضع غير صالح للتشبيه، فلا بدَّ من عدم الاعتداد بالكاف؛ لأنّ الاعتداد بها يستلزم ثبوت شيء لا شيء مثله، وذلك محال، وما أفضى إلى المحال محال" (شرح التسهيل، ج3، ص170).

فهذه النصوص وغيرها قاطعةٌ بأن الكاف في الآية زائدة، إلا أن كونها للتشبيه هو الأرجح؛ نظراً لظهور معنى الآية عليه، وقد ذكر السمين الحلبي لهذه الآية عدة أوجه:

- أحدها -وهو المشهور عند المعربين- أن الكاف زائدةٌ في خبر (ليس)، و(شيء) اسمها، والتقدير: ليس شيءٌ مثلَه...
- والثاني: أنَّ مِثْلاً هي الزائدة كزيادتها في قوله -تعالى-: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة: 137]. وهذا ليس بجيد؛ لأن زيادة الأسماء ليستْ بجائزة، وأيضاً يصير التقدير ليس كـ (هو) شيءٌ، ودخول الكاف على الضمائر لا يجوز إلا في شعرٍ.
- الثالث: أنَّ العرب تقول: مثْلُكَ لا يفعلُ كذا، يعنون المخاطَبَ نفسَه.
- الرابع: أنْ يراد بالمثل الصفةُ، وذلك أنَّ المِثْلَ بمعنى المَثَل، والمَثَلُ الصفةُ كقوله -تعالى-: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾ [الرعد: 35]. فيكون المعنى: ليس مِثْلَ صفته -تعالى- شيءٌ من الصفات التي لغيره، وهو محمل سهلٌ" (الدر المصون، ج9، ص543-546).

وقد بيَّن الزجاج أن زيادة الكاف هنا تفيد التوكيد، وهذه الكاف مؤكدة، والمعنى: ليس مثلَه شيءٌ، ولا يجوز أن يقال: المعنى: مثل مثله شيءٌ، لأن مَنْ قالها فقد أثبتَ المثلَ لله، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً" (معاني القرآن له، ج4، ص395).

وهو رأي ابن جنّي الذي قال: "واعلم أن هذه الكاف التي هي حرف جارٌّ، كما كانت غير زائدة فيما قدَّمنا ذكره، فقد تكون زائدة مؤكِّدةً، بمنزلة الباء في خبر (ليس)، وما، ومِنْ، وغيرها من حروف الجر، فلا بدَّ من زيادة الكاف ليصحَّ المعنى... فهذا كله يؤكد عندك أن الكاف لا بدَّ أن تكون زائدةً" (سر الصناعة، ج1، ص291).

والذي يظهر أن الكاف مزيدة للتوكيد وهو ما أشار إليه ابن عاشور في قوله: " مَعْنَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ، فَأُقْحِمَتْ كَافُ التَّشْبِيهِ عَلَى) مِثْلِ (وَهِيَ بِمَعْنَاهُ لِأَنَّ مَعْنَى الْمثل هُوَ الشبيه، فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْكَافَ مُفِيدَةٌ تَأْكِيدًا لِمَعْنَى الْمِثْلِ، وَهُوَ مِنَ التَّأْكِيدِ اللَّفْظِيِّ بِاللَّفْظِ الْمُرَادِفِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ" (التحرير والتنوير، ج25، ص 46). والدلالة الحجاجية من وراء ذلك التأكيد هو تَعْلِيم لِلْمُسْلِمِينَ كَيْفَ يُبْطِلُونَ مُمَاثَلَةَ الْأَصْنَامِ لِلَّهِ تَعَالَى (التحرير والتنوير، ج25، ص 46).

وبذلك فابن عاشور ربط بين الدلالتين النحوية والحجاجية لزيادة الكاف للتوكيد في الآية؛ إذ جعل فائدتها توكيد نفي المثل، من وجهين: أحدهما لفظيٌّ، والآخر دلالي حجاجي، أما اللفظيّ فهو أن زيادة هذه الكاف تفيدُ ما يفيده التوكيد اللفظيّ، من الاعتناء بالكلام. وأما الدلالي الحجاجي فالمقصد تعليمي توجيهي.

ويعد التوجيه من أنجع الاستراتيجيات في الخطاب؛ إذ يستند توظيفها على علاقة سلطوية بين طرفي العملية الكلامية، فلا بد أن يكون هناك تباين في العلاقة بين طرفي الخطاب لتوظيف هذه الاستراتيجية واللجوء إليها في الحجاج، "لأنه لو كان أطراف الخطاب على درجة واحدة لاستعاض المرسل باستراتيجية أخرى" (الشهري، ص325).

الشيء الآخر الذي تتمتع به الاستراتيجية التوجيهية هو وضوح القصد من التوجيه، وهو بلوغ القصد وتبليغ محتوى الخطاب، فالاستراتيجية تتسم بوضوحها التام في التعبير عن غايات المرسل من خطابه، " فوضوح القصد سبب في عدم حيرة المرسل إليه، مما يضمن تحقيق هدف المرسل ... ولن يستطيع المرسل إليه بلا شك أن يحقق الهدف الذي ينشده المرسل إذا كان الخطاب غامضا أو يحتمل أكثر من تأويل".

ويؤخذ المفهوم الخاص للاستراتيجية التوجيهية من الوظيفة العامة للتوجيه التي تضطلع بها اللغة في السياقات المخصوصة، حيث "تحاول عن طريقها السيطرة على محيطنا بشكل دائم

ومنظم، عن طريق إصدار الأوامر والتحكم في تصرفات الآخرين، أو السيطرة على أشياء أخرى في البيئة المحيطة بنا" (خرما، 1978م، ص174).

ويعتمد الخطاب التوجيهي على "ما يقصد إليه القائل من حملٍ لمخاطبه على معرفة معلومة مُعيّنة" (آن روبول– جاك موشلار، 2003م، ص79)، ويتمثّل ذلك فيما يُعرف عند التداوليين بـ "المقصد التواصلي" الذي يعني "ما يقصد إليه القائل من حملٍ لمخاطبه على معرفة مقصده الإخباري"، ولا بد للمتلقي من التفاعل والتواصل مع المتكلم بوصفه يمتلك "سلطة الخطاب"، ولعل أهم سمات هذه السلطة هي القدرة على التأثير من المرسل فيمن هو أدنى منه في الدرجة، والقبول من أعضاء المجتمع التواصلي بسبب المركز الاجتماعي للمرسل أو المرسل إليه.

2– مِن:

ومن معانيها: التبعيض: وعلامتها إمكان سد (بعض) مكانها (مغني اللبيب، ج1، ص349).

ومن ذلك ما ورد في سورة الأحقاف من قوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأحقاف: 31].

وقد بيَّن ابن عاشور الدلالة الحجاجية لمعنى التبعيض في (من) فقال: "وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تَبْعِيضِيَّةً، أَيْ يَغْفِرْ لَكُمْ بَعْضَ ذُنُوبِكُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ احْتِرَازًا فِي الْوَعْدِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَحَقَّقُوا تَفْصِيلَ مَا يُغْفَرُ مِنَ الذُّنُوبِ وَمَا لَا يُغْفَرُ إِذْ كَانُوا قَدْ سَمِعُوا بَعْضَ الْقُرْآنِ وَلَمْ يُحِيطُوا بِمَا فِيهِ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص61).

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك آية خلق الإنسان في سورة غافر: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [غافر: 67].

إن التدرج الحجاجي الذي يستعمله المرسل للوصول بالمخاطب إلى مرحلة الاقتناع يهدف في استراتيجية الحجاج إلى أن "يصبح المتلقي تحت سيطرة المرسل"(الشهري، ص457). ويمكن تمثيله بالآتي:

<u>النتيجة النهائية:</u>

(قدرة الله عز وجل على خلق الإنسان).

<u>التدرج الحجاجي:</u>

- لِتَكُونُوا شُيُوخًا
- لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ
- يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا
- العلقة
- النطفة
- التراب

والتحليل الحجاجي لهذا التدرج يحمل في دلالاته ما يلي: استخدمت الآيةُ الرابطَ (ثُمَّ) لبيان بطء التدرج الحجاجي لمراحل خلق الإنسان، وتدرجه في أطوار حياته المتعاقبة بشكل تدريجي متراخي الزمن (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص127). التقابل بين قوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾، و﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ يعني أن الإخراج هو البداية، والبلوغ هو النهاية، كما أن في الأشُد قوة، وفى الطفولة ضعفًا.

الأشُد: هو سن الفتوة واستكمال القوى والعقل والتمييز (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص127)، والتعبير بصيغة التفضيل إشارة إلى أن هذه الشدة فوق كونها قوة تتعدد متعلقاتها، فهي غاية كل شدة، أو شدة في غير شيء واحد، ولذلك بنيت على لفظ الجمع (الرازي، ج27، ص10).

مرحلة الشيخوخة بوصفها المرحلة الأخيرة فهي تأتي لتحقيق غاية الامتنان الحجاجية، فكان طور الشيخوخة –فيها– باعتباره مقصدًا للأحياء لحبهم التعمير– أنسب بمقام الامتنان (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص128).

3– الباء الجارة:

ومن معانيها:

الملابسة: وقد أتت الباء الجارة دالة على هذا المعنى لتحقيق معنى الحجاج الاستعاري في سورة غافر؛ إذ أتت للكشف عن العقاب الشديد للأمم الكافرة، كما في قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (غافر: 83). فمن خلال الاستعارة صوَّر القرآن شدة العقاب النازل على الكافرين وهوله، فقد استعيرت (وَحَاقَ بِهِم) لتصوير الإحاطة من كل جانب تصويرا حسيا؛ أي "تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالبًا، ولا شيء أثبت من الصور الحسية في الذهن" (ابن المنير، 2006م، ج1، ص641). لتكون الإحاطة معلومة للمتلقي، بما فيها من شدة، بحيث لا تترك لهم منفذا واحدا للإفلات من العقاب، على ما يذكر الطبري أن الله تبارك وتعالى قد وصف بهذا التعبير "أنه المقتدر عليهم وعلى جمعهم،

لإحلال سَخَطه بهم، وإنزال نِقْمته عليهم، ومُحذِّرَهم بذلك سَطوته، ومخوِّفَهم به عقوبته." (الطبري، جامع البيان، ج1، ص360). والغاية الحجاجية للاستعارة هنا هي إلزام المخاطبين بالحجة حتى لا يعتذروا يوم القيامة بكونهم لم يعلموا مصير أفعالهم. كما يلاحظ أن الآية لم تحدد نوع العقاب الذي أحاط بالكافرين؛ ولعل ذلك مرجعه إلى إدخال المتلقي في تأويل هذا العقاب، وتحديد مدى شدته، ومن هنا يصبح التأثير الحجاجي للاستعارة ذا شقين: شق مباشر يختص بالمخاطبين الفعليين بالاستعارة، وهم الكافرون الذين نزل بهم العقاب الأليم. وشق غير مباشر يختص بجماعة المتلقين؛ سواء كانوا من المؤمنين أو من الكافرين؛ وذلك لأن تذهب أذهانهم كل مذهب في تقدير بشاعة هذا العقاب الذي أحاط بهم من كل جانب.

وقد أتت الباء الجارة دالة على معنى الملابسة في قوله –جل شأنه–: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأحقاف: 33].

وقد بيَّن ابن عاشور دلالة الملابسة في بعدها الحجاجي بقوله: " وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَعْيَ مُضَارِعُ عَيِيَ مِنْ بَابِ رَضِيَ، وَمَصْدَرُهُ الْعِيُّ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَهُوَ الْعَجْزُ عَنِ الْعَمَلِ أَوْ عَنِ الْكَلَامِ، وَمِنْهُ الْعِيُّ فِي الْكَلَامِ، أَيْ عُسْرُ الْإِبَانَةِ. وَتَعْدِيَتُهُ بِالْبَاءِ هُنَا بَلَاغَةٌ لِيُفِيدَ انْتِفَاءَ عَجْزِهِ عَنْ صُنْعِهَا وَانْتِفَاءَ عَجْزِهِ فِي تَدْبِيرِ مَقَادِيرِهَا وَمُنَاسَبَاتِهَا، فَكَانَتْ بَاءُ الْمُلَابَسَةِ صَالِحَةً لِتَعْلِيقِ الْخَلْقِ بِالْعِيِّ بِمَعْنَيَيْهِ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص64).

المصاحبة: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: 56). وهو خطاب تسلية للرسول ﷺ من خلال تكرار توبيخ الكافرين بدعوته، فالتكرار أداة حجاجية دالة على لإكثار من التوبيخ مرة بعد مرة (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص220). وقد استعمل الاسم الموصول هنا بدلالته الإشارية للدلالة على مشركي مكة، وذلك لتحقيق مقصد الذم، من جهة أولى، ولتحقيق مقصد التعميم والشمول لكل من يجادل في آيات الله من جهة أخرى، وتؤخذ دلالة العموم والشمول من إيراد فعل جملة الصلة" يجادلون" بصيغة المضارع، للدلالة على أن ديدنهم هم وأمثالهم هو المجادلة بالباطل في كل زمان ومكان.

وتنبني هذه البنية حجاجيا على التدعيم اللغوي لإثبات أن جدالهم مذموم، من خلال استعمال حرف الجر الباء لإفادة معنى المصاحبة في قوله: بِغَيْرِ سُلْطَانٍ (الأندلسي، ج9، ص257). أي أنهم لا يملكون لجدالهم أي سند أو حجة، فهم يجادلون مجادلة عناد وغضب، وهذا القول يفيد التشنيع في جدالهم؛ لأنهم بذلك يخالفون الواقع المشاهد المحسوس، وهو آيات الله الظاهرة الجلية، فقد قيد الله عز وجل جدالهم بكونه في آيات الله، وهي من الوضوح والظهور بحيث لا يمكن الجدال

فيها، " والذي يدفعهم إلى هذا الجدال الباطل انفعالاتهم النفسية، وهو إحساس الإنسان بخواطر تشعره أنّه أعظم من غيره، فلا يرضى بمساواته" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص220). ولذلك قيدها بأنها في صدورهم.

4- في الجارة:

هي حرف جار لما بعده ومعناه الوعاء حقيقةً أو مجازاً؛ فالحقيقة نحو: جعلت المتاع في الوعاء. والمجاز كقولك: دخلت في الأمر (رصف المباني، ص450-451). وجاء في الكتاب: " وأمّا (في) فهي للوعاء تقول: هو في الجراب لأنَّه جعلهُ إذا أدخله فيهِ كالوعاء وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا" (الكتاب، ج2، ص308).

وأشار ابن عاشور إلى معنى:

الظرفية: وهو الأصل فيه ولا يثبُت البصريون غيره. وتكون حقيقة نحو قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾[البقرة: 203] أو مجازاً نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]. هنا للوعاء مجازاً (الجنى الداني، ص250). والمحققون في معنى (في) أنها لا تكون إلا للوعاء حقيقةً أو مجازاً (ارتشاف الضرب من لسان العرب، ص1725).

وقال ابن يعيش: "و(في) معناها للظرفية، وقولهم في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾" [طه: 71]، أنها بمعنى (على) عمل على الظاهر، والحقيقة أنها على أصلها تمكن المصلوب في الجذع تمكن الكائن في الظرف فيه. وهذا هو الأصل فيها. وأمَّا قولهم: "(في) للظرفية أمَّا تحقيقاً نحو: زيد في الدار، وتقديراً نحو: نظر في الكتاب، وتفكر في العلم، وأنا في حاجتك، لكون الكتاب، والعلم والحاجة شاغلة للنظر والفكر والمتكلم، مشتملة عليها اشتمال الظرف على المظروف فكأنها محيطة بها من جوانبها" (شرح المفصل: ج8، ص20).

وذكر فاضل السامرائي أن: "(في) تفيد الظرفية، زمانية أو مكانية؛ فمن الظرفية المكانية قولهم: الدراهم في الكيس، و(هو في الدار). ومن الظرفية الزمانية قولك: جئتُ في يوم الجمعة، قال تعالى: " وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ " البقرة _65_ وهذه الظرفية حقيقيةً، وقد تكون الظرفية مجازيةً نحو (سأمشي في حاجتك) و(سأنظرُ في أمرك) جُعِلت الحاجةُ مكاناً للمشي والأمر محلاً للنظر" (معاني النحو، ج3، ص57).

ومن الآيات التي وردت فيها (في) دالة على معنى الظرفية كما قال ابن عاشور في تفسيرها قوله تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ﴾ (فصلت: 25).

ورأى ابن عاشور أن الظَّرْفِيَّةُ هُنَا مَجَازِيَّةٌ، وَهِيَ بِمَعْنَى التَّبْعِيضِ، أَيْ هُمْ مِنْ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص276).

أما التعالق بين الدلالتين النحوية والحجاجية في معنى الظرفية في استعمال حرف الجر (في) فيظهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (فصلت: 40).

وفي السورة نفسها يأتي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (فصلت: 54).

ففي قوله: **فِي مِرْيَةٍ**. فقد رأى ابن عاشور أن الظَّرْفِيَّةِ مُسْتَعَارٌ لِتَمَكُّنِ الشَّكِّ بِهِمْ حَتَّى كَأَنَّهُمْ مَظْرُوفُونَ فِيهِ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص22).

يعتمد ابن عاشور في هذا المعنى على الدلالة المعجمية للفظ (مِريَةٍ)، وهي الشَّكّ عند أغلب اللُّغويين، وقد يُرادُ بها التَّردّد في الأمر، وهو أخصُّ من الشَّكّ. قال الخليل "والمِريةُ: الشّكُّ في الأمر، ومنه: الامتراء والتّماري في القرآن، يقالُ: تَمارَى يَتَمارَى تَمارِياً وامترى امتراء، إذا شكّ" (الفراهيدي، العين، ج2، ص179).

وقال الفيروز آبادي: "المِرْيةُ –بالكسر وبالضمّ–: التَّردّد في الأمر. وهو أَخصّ من الشَّكّ" (بصائر ذوي التمييز: 1411/1). فهي تعني الشَّكّ كما نقله الأزهريّ قال: "وأصله في اللُّغة: الجِدال وأن يستخرجَ الرجلُ من مناظره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها، من (مَرَيت الشَّاة)، إذا حلبتها واستخرجتَ لبنَها" (تهذيب اللُّغة: 155/5).

وفي السياق ذاته للمعنى اللغوي للشك والريبة قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ **(الدخان: 9)**. "وَالْإِتْيَانُ بِحَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ تَمَكُّنِ الشَّكِّ مِنْ نُفُوسِهِمْ حَتَّى كَأَنَّهُ ظَرْفٌ مُحِيطٌ بِهِمْ لَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَخْرَجًا، أَيْ لَا يُفَارِقُهُمُ الشَّكُّ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص285).

السببية: وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ **(الشورى: 11)**. قال ابن عاشور: " وَحَرْفُ (فِي) مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى السَّبَبِيَّةِ تَشْبِيهًا لِلسَّبَبِ بِالظَّرْفِ فِي احْتِوَائِهِ عَلَى مُسَبَّبَاتِهِ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص45).

وقد أورد المرادي في الجنى الداني: ذكر بعضهم أنَّ (في) في قوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ بمعنى (باء) الاستعانة أي يكثركم به (الجنى الداني، ص251). وردَّ ذلك ابن هشام في المغني بقوله: " هي للتعليل أي يكثركم بسبب هذا الجعل. والأظهر قول الزمخشري إنَّها للظرفية المجازية، قال جعل هذا التدبير كالمنبع، أو المعدن للبث والتكثير" (مغني اللبيب، ج1، ص191).

المصاحبة: وهي التي يصلح موضعها (مع) كما عند الكوفيين وابن قتيبة نحو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: 79] أي مع زينته (شرح التصريح على التوضيح، ج1، ص649). وفي قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ [الأعراف: 38]، أي مع أمم وقيل: "بل التقدير أدخلوا في جملة أمم فحذف المضاف. وهو أولى، فهناك فرق بين قوله دخل معهم، ودخل فيهم؛ فمعنى دخل فيهم أنَّه أصبح من جملتهم. ومعنى دخل معهم أنه مصاحب لهم" (معاني النحو: ج3، ص59).

وأشار الرماني إلى: "أنَّ الزركشي قدرها بمعنى (مع) في قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: 29]. أي فادخلي مع عبادي. في حين ذهب الرضي إلى أنَّها في الآية بمعناها وليست بمعنى (مع)، أي حاصلة في زمرة عبادي أو ادخلي أيتها الروح في أجسام عبادي" (معاني الحروف، ص78؛ شرح الرضي، ج1، ص1162).

ورأى ابن عاشور أن الذي يقدر دلالة معنى المصاحبة لحرف الجر (في) هو الدلالة الحجاجية، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف: 18). فقال: "وَنَشْءُ الشَّيْءِ فِي حَالَةٍ أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءُ وَجُودِهِ مُقَارِنًا لِتِلْكَ الْحَالَةِ فَتَكُونَ لِلشَّيْءِ بِمَنْزِلَةِ الظَّرْفِ. وَلِذَلِكَ اجْتُلِبَ حَرْفُ (فِي) الدَّالَّةِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ وَإِنَّمَا هِيَ مُسْتَعَارَةٌ لِمَعْنَى الْمُصَاحَبَةِ وَالْمُلَابَسَةِ فَمَعْنَى مَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ مَنْ تُجْعَلُ لَهُ الْحِلْيَةُ مَنْ أَوَّلِ أَوْقَاتِ كَوْنِهِ وَلَا تُفَارِقُهُ، فَإِنَّ الْبِنْتَ تُتَّخَذُ لَهَا الْحِلْيَةُ مِنْ أَوَّلِ عُمُرِهَا وَتُسْتَصْحَبُ فِي سَائِرِ أَطْوَارِهَا" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص181).

5- على الجارة:

هي حرف جر بشرط عدم دخول حرف الجر عليها فإنْ دخل عليها فهي بذلك بمعنى (فوق) وهذا مذهب البصريين (الجنى الداني، ص470).

وذكر المالقي أنَّ (على) تكون على ثلاثةِ أقسام:

- قسم تكون اسماً إذا دخل عليها حرف الجر.
- قسم تكون فعلاً ومضارعه (يعلو) ومصدره (علوّاً) ومعناها ارتفع.
- قسم تكون حرفاً ومعناها العلو حقيقةً كقولك: طلع فلان على السقف واستوى على الجبل (رصف المباني، ص433).

و (على) لفظةٌ مشتركةٌ بين الاسم والفعل والحرف، فتكون اسماً بمعنى (فوق) وذلك إذا دخلت عليها (من). وتكون فعلاً تقول: علا زيداً سواد (مصابيح المغاني: 280-281). ووردت (على) عند ابن عاشور لتدل على:

-الاستعلاء: جاء في الكتاب: "أما (على) فاستعلاء الشيء تقول: هذا على ظهر الجبل، وهي على رأسهِ، وتقول عليه مال " (الكتاب: ج2، ص310).

و(على) للاستعلاء، حقيقياً كان أم مجازياً، ولفظُها يدل على ذلك فهي من العلو، فمن الاستعلاء الحقيقي قولك: هو على الجبل، ومن الاستعلاء المجازي قولهم (عليهِ دينٌ) كأنَّ الدَّين علاه وركبه، ولذا تقول العرب: ركبتني ديون (معاني النحو، ج3، ص47-48). وشرح الجرجاني معنى الاستعلاء بقوله: "هي كون الشيء فوق الشيء" (العوامل المائة، ص125).

وورد هذا المعنى في تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: 43). حيث قال: "وَحَرْفُ عَلَى لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ الْمُرَادِ بِهِ التَّمَكُّنُ كَقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الْبَقَرَة: 5]" (التحرير والتنوير، ج25، ص220). أما دلالته الحجاجية فهي "تثبيت للرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَا زَاغَ قَيْدَ أُنْمُلَةٍ عَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ وَيَتْبَعُهُ تَثْبِيتُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِيمَانِهِمْ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص220).

-المصاحبة: ك (مع) نحو: فلان على جلالته يقول كذا (معاني النحو، ج3، ص49). والظاهر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ [إبراهيم: 39] أي مع الكبر (الكشاف، ج3، ص387).

ورد هذا المعنى في تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23]. إذ قال: "وَمَعْنَى عَلَى عِلْمٍ أَنَّهُمْ أَحَاطَتْ بِهِمْ أَسْبَابُ الضَّلَالَةِ مَعَ أَنَّهُمْ أَهْلُ عِلْمٍ، أَيْ عُقُولٍ سَلِيمَةٍ أَوْ مَعَ أَنَّهُمْ بَلَغَهُمُ الْعِلْمُ بِمَا يَهْدِيهِمْ وَذَلِكَ بِالْقُرْآنِ ودعوة النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ. فَحَرْفُ عَلَى هُنَا مَعْنَاهُ الْمُصَاحَبَةُ بِمَعْنَى (مَعَ) وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى اسْتِعَارَةُ مَعْنَى الِاسْتِعْلَاءِ لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ وَهُوَ التَّمَكُّنُ بَيْنَ الْوَصْفِ وَالْمَوْصُوفِ" (التحرير والتنوير، ج25، ص 358).

وعَلى فِي قَوْلِهِ: عَلى عِلْمٍ بِمَعْنَى (مَعَ)، كَقَوْلِ الْأَحْوَصِ:

إِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتُ مُحَسَّدٌ *** أُنْمِي عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَآنِ

(التحرير والتنوير، ج25، ص 305)

6- إلى الجارة:

حرف جر، للانتهاء مطلقاً، تعم الزمان والمكان نحو: سرتُ إلى نصف الليل، وذهب بعضهم الى أنَّ (إلى) تنتهي لابتداء الغاية، وإمَّا أن تكون آخراً أو غير آخر.

جاء في أوضح المسالك: "(إلى) معناها انتهاء الغاية مكانية أو زمانية " (أوضح المسالك، ج3، ص47). نحو قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: 1]، ذكر الرماني أنَّ (إلى) من الحروف العوامل، وعملها الجر، ومعناها انتهاء الغاية؛ تقول: خرجت إلى المسجد، وقصدت إلى أخيك (معاني الحروف: 158-159).

وجاء في شرح المفصل: و(إلى) معارضةٌ لـ(مِن) دالة على انتهاء الغاية كقولك: سرتُ من البصرة إلى بغداد. وتدلُ على انتهاء الغاية كما دلت (من) على ابتدائها فهي نقيضُتها لأنَّها طرفٌ بإزاء طرف" (شرح المفصل، ج8، ص14).

وتظهر الدلالة الحجاجية لاستعمال الوظيفة النحوية لحرف الجر (إلى) عبر استثمار أسلوب المقارنة في خطاب مؤمن آل فرعون لقومه، لتحقيق مقاصده الإقناعية، والوصول بهم إلى الاقتناع بما يدعوهم إليه، وذلك حينما يقارن بين دعوته ودعوتهم، وذلك باستعمال أسلوبين من الأساليب اللغوية أولهما: النداء المتكرر المفيد لزيادة التنبيه بسبب استغراقهم في المعصية، وثانيهما: الاستفهام الذي أدى غرض التعجب والإنكار (عبد المطلب، ص210)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر: 41).

فشتان بين الدعوتين، فدعوته تهدف إلى النجاة من الغفلة والمعصية، أما دعوتهم فلا تهدف إلا إلى شيء واحد فقط، وهو النار، والحجاج هنا يبنى على عقد مقارنة بين مشاهد محسوس، وهو النار، وبين سلوك معنوي غير مرئي وهو النجاة، وآثر استعمال اللام في قوله ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ...﴾، في مقابل استعمال (إلى) في الجملة التي قبلها مع النار في قوله ﴿... تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾، وذلك لأنَّ الكفر أمرٌ معنوي، والنار أمرٌ محسوس فناسب كلَّ حرفٍ موضعه (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص153). والمقصد الحجاجي لهذه المقارنة بين المحسوس والمعنوي هو التنفير من المحسوس؛ كونه مرئيًّا معروفا لهم. هذا من جانب، ومن جانب ثانٍ أن المؤمن أراد أن يحتج لهم بأن الهروب من النار إنما يكون فقط بالفعل والسلوك المعنوي، وهو العمل الصالح، الذي عبر عنه بالنجاة، مع ما يتضمنه لفظ النجاة من الهروب من المهالك، فكأن المقارنة واقعة بين الإيان المؤدي إلى النجاة، ولكفر المؤدي إلى النيران.

وهو ما أكدته الآية التالية مباشرة في قوله: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (غافر: 42). فالحجاج عن طريق المقارنة، بعطف جملة: وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ. المبينة لحقيقة دعوته لهم، على جملة: تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ. المبينة لحقيقة دعوتهم.

7- عن الجارة:

ذكر المرادي أنك: إذا قلت: (قعد زيد عن يمين عمرو) معناه ناحية يمين عمرو. واحتُمِل أن يكون قعودُه ملاصقاً لأوّل ناحية يمينه، وألاّ يكون (الجنى الداني، ص242-243). وذكر ابن هُشام أنَّ " (عن) تكون اسماً بمعنى (جانب)، وذلك يتعين في ثلاثة شروط:

- أنْ يدخلَ عليها (من) وهو كثير نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: 17].
- أنْ يدخل عليها (على) وذلك نادر.
- أنْ يكون مجرورها وفاعل مُتعلَّقهما ضميرين لمسمى واحد (مغني اللبيب: 171/1-172).

وأورد ابن عاشور من معانيها:

المجاوزة: وهو أشهر معانيها ولم يثبت البصريُّون لها غيره، ومن ذلك قولك: رميتُ عن القوس، لأنّه يقذف عنها بالسهم ويبعده ولكونها للمجاوزة عدّي بها (الجنى الداني، ص245). وعن للمجاوزة، أي لبعد شيء عن المجرور بها بسبب ايجاد مصدر المعدّى بها نحو: أطعمهُ عن الجوع. أي: ابعده عن الجوع بسبب الإطعام (الاسترابادي: 1215/1-1216). ذكر الرماني أنَّ المجاوزة أشهر معانيها ويتعدى بها (معاني الحروف، ص73).

ومن ذلك ذكر ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36). أنه "عُدِّيَ يَعْشُ بِـ (عَنْ) الْمُفِيدَةِ لِلْمُجَاوَزَةِ؛ لِأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى الْإِعْرَاضِ عَن ذكر الرحمان، وَإِلَّا فَإِنَّ حَقَّ عَشَا أَنْ يُعَدَّى بِـ (إِلَى) كَمَا قَالَ الْحَطِيئَةُ:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُهُ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ *** تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

وَلَا يُقَالُ: عَشَوْتُ عَنِ النَّارِ إِلَّا بِمِثْلِ التَّضْمِينِ الَّذِي فِي هَاتِهِ الْآيَةِ. فَتَفْسِيرُ مَنْ فَسَّرَ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ بِمَعْنَى يُعْرِضُ: أَرَادَ تَحْصِيلَ الْمَعْنَى بِاعْتِبَارِ التَّعْدِيَةِ بِـ عَنْ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص209).

وفي آية الشورى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: 25).

قال ابن عاشور: "وَفِعْلُ (قَبِلَ) يَتَعَدَّى بِـ (مِنْ) الِابْتِدَائِيَّةِ تَارَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ: وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ [التَّوْبَة: 54]، وَقَوْلِهِ: فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً [آل عمرَان: 91]، فَيُفِيدُ مَعْنَى الْأَخْذِ لِلشَّيْءِ الْمَقْبُولِ صَادِرًا مِنَ الْمَأْخُوذِ مِنْهُ، وَيُعَدَّى بِـ عَنْ فَيُفِيدُ مَعْنَى مُجَاوَزَةِ الشَّيْءِ الْمَقْبُولِ أَوِ انْفِصَالَهُ عَنْ مُعْطِيهِ وَبَاذِلِهِ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص89)، ويرى ابن

عاشور أن هذا المعنى له مقصد حجاجي يتمثل في كون التعدية بـ (عن) " أَشَدُّ مُبَالَغَةً فِي مَعْنَى الْفِعْلِ مَنْ تَعْدِيَتِهِ بِحَرْفِ (مِنْ)؛ لِأَنَّ فِيهِ كِنَايَةً عَنِ احْتِبَاسِ الشَّيْءِ الْمَبْذُولِ عِنْدَ الْمَبْذُولِ إِلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يُرَدُّ عَلَى بَاذِلِهِ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص89).

8- لام الجر:

وهي حرف يكسر مع الاسم الظاهر (بابيتي، 1992م، ج2، ص 873)، وأشار ابن عاشور إلى بعض معانيها:

الملك والاختصاص: ذكر المرادي أنَّ "لام" الاختصاص أصل معانيها، قال: "والظاهر أنَّ أصل معانيها الاختصاص" (الجنى الداني: 96). وقال سيبويه: "ولام الإضافة، ومعناها الملك واستحقاق الشيء، ألآ ترى أنَّك تقول: الغلام لك، فيكون في معنى هو عبدك. وهو أخ له، فيصير نحو: هو أخوك، فيكون مستحقا لهذا كما يكون مستحقا لما يملك، فمعنى هذه اللام معنى إضافة اسم" (الكتاب، ج4، ص217).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (غافر: 64). فالتقديم والتأخير في (لَكُمُ) يفيد الاختصاص بالنعم، كما أن في تقديم (الْأَرْضَ) على السماء للاستدلال على أهميتها الحياتية للإنسان؛ كونها تقع تحت إدراك حواسه، بخلاف السماء، ويعضد التقديم والتأخير المقابلة بين (الْأَرْضَ قَرَارًا) و(وَالسَّمَاءَ بِنَاءً)، من إقناع المتلقي من خلال العلاقة الضدية؛ كونها تشير إلى أن الله عز وجل قادر على الشيء ونقيضه؛ أي "ما هُوَ حَاصِلٌ مُشَاهَدٌ حَالَ كَمَالِ حَالِهِ وَالثَّانِي: مَا كَانَ حَاصِلًا فِي ابْتِدَاءِ خِلْقَتِهِ وَتَكْوِينِهِ" (الرازي، ج27، ص530). ثم الإتيان بالتشبيه البليغ في قوله: وَالسَّمَاءَ بِنَاءً. ليزيد من لفت نظر المتلقي إلى عظمة هذه العلاقة الضدية.

وقد أشار ابن عاشور إلى الدلالة الحجاجية للتقديم النحوي للام الجر، والتقديم المعنوي للأرض على السماء، وجعل هذه الدلالة هي الامتنان على الإنسان بالنعم الربانية، قال: " الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الِامْتِنَانَ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: لَكُمُ قُدِّمَتِ الْأَرْضُ عَلَى السَّمَاءِ لِأَنَّ الِانْتِفَاعَ بِهَا مَحْسُوسٌ وَذُكِرَتِ السَّمَاءُ بَعْدَهَا كَمَا يُسْتَحْضَرُ الشَّيْءُ بِضِدِّهِ مَعَ قَصْدِ إِيدَاعِ دَلَائِلِ عِلْمِ الْهَيْئَةِ لِمَنْ فِيهِمُ اسْتِعْدَادٌ لِلنَّظَرِ فِيهَا وَتَتَبُّعِ أَحْوَالِهَا عَلَى تَفَاوُتِ الْمَدَارِكِ وَتَعَاقُبِ الْأَجْيَالِ وَاتِّسَاعِ الْعُلُومِ" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص189).

ووردت دلالة الاختصاص أيضا في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(غافر: 52).

وعطف جملة ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ على جملة ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ لتخصيصهم بها، وأنهم المستحقون للطرد من رحمة الله تعالى، وفي عطف جملة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

على الجملة السابقة جاء من باب التوضيح لمن استحق اللعنة، واختص بها. وقد تقدم الخبر "لهم" على المبتدأ في الجملتين للاهتمام بتعذيبهم، وتخصيصهم باللعنة وسوء الدار.

وما يلفت النظر أن بناء الجملة جاء على هيئة التوازي التركيبي (الإيضاح، ص393) الذي لا يحافظ على الإيقاع الصوتي للجملة فحسب، بل إنه يحمل بؤرة الدلالة المقصودة، ذلك أن تكرار (وَلَهُمُ) يحمل فوق معنى تخصيص العائد إليه هذا الضمير معنى التدرج في العقاب المخصص لهم، وهذا التدرج يتأسس على ترتيب منزلتهم ترتيبا سببيا، فاستحقاقهم للعنة سبب لمنزلتهم في سوء الدار.

ومن معاني لام الجر أيضا:

- التعليل (الدقر، 1986م، ص379): كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾(غافر: 37).
- الحجة: زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ.
- العامل الحجاجي: لام الجر في (لِفِرْعَوْنَ).
- النتيجة: وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ.

فقد جاءت الحُجَّة لدعم النتيجة المطروحة وذلك بفضل العامل الحِجَاجي "اللام"، وبهذا يتبين أن العامل الحِجَاجي "لام الجر" جاء هنا للتعليل، بحيث يقوم بتدعيم النتيجة.

وقد بيَّن ابن عاشور أن هذه السببية جاءت بدلالة حجاجية، هي المبالغة، فقال في قوله تعالى: زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ: "أَيْ مِثْلَ ذَلِكَ التَّزْيِينِ أَي تَزْيِين عَمَلِ فِرْعَوْنَ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ مُبَالَغَةً فِي أَنَّ تَزْيِينَ عَمَلِهِ لَهُ بَلَغَ مِنَ الْقُوَّةِ فِي نَوْعِهِ مَا لَا يُوجَدُ لَهُ شِبْهٌ يُشَبَّهُ بِهِ فَمَنْ أَرَادَ تَشْبِيهَهُ فَلْيُشَبِّهْهُ بِعَيْنِهِ" (التحرير والتنوير، ج24، ص147).

المبحث الثاني: عاملية الاستثناء:

المستثنى في أسلوب الاستثناء: هو المخرج تحقيقًا، أو تقديرًا من مذكور، أو متروك بعد (إلاّ)، أو ما في معناها بشرط الفائدة (شرح التسهيل: 2/ 264؛ شرح التصريح: 1/ 537)، أو إخراج الثاني ممّا دخل فيه الأول بالأدوات التي وضعها العرب لذلك، وهي: إلاّ، وغير، وسوى، وحاشى، وعدا، وخلا، وليس، ولا يكون (شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الأشبيلي: 2/ 380)، وتعدّ (إلاّ) أم أدوات الاستثناء جميعًا.

1- النفي والاستثناء بـ(إلا).

كان لعاملية النفي والاستثناء فعالية حجاجية متميزة عملت على تماسك النص القرآني وتوجيه المتلقي نحو النتيجة التي يهدف القرآن الكريم إيصالها إليه.

ويأتي ذلك من خلال الحصر بالاستثناء بـ (إلا) والنفي الواقع قبلها، وذلك في السياق الذي يسميه عبد القاهر الجرجاني بالنفي والإثبات، ويأتي "لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه"(الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص332). ويشرح بعض الباحثين النفي والإثبات بوصفه عاملا حجاجيا أنه "يقصر من شيء على شيء في بنية النص، وتكون الفكرة المشتركة بين كل من المرسل والمتلقي هي المسار المؤدي إلى نتيجة ما؛ ذلك لأن هذا العامل صورة من صور تقييد الفكرة المطروحة، والضغط على محتواها الخبري؛ لكي يجعل المتلقي يلتفت إليها فلعله يذعن، فكثيرا ما يستعمل النفي والاستثناء في توجيه القول نحو ما يعتقد به المتحدث" (كاظم، ص 108-109).

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ [غافر: 4].

فقد فسره ابن عاشور بقوله: "أي ما الجَدل في آيات الله إلا من شأن أهل الكفر والإشراك "(ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص81). فالعامل الحجاجي (النفي والإثبات) قد حصر الفعل المضارع ﴿يُجَادِلُ﴾ وقصره على فئة محددة، فجعل المجادلة في أمر القرآن تختص بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ ليفضحهم ويكشف عن موقفهم المضل مع القرآن، وقد أفادت أداة النفي (ما) إثبات الجدل للكافرين، وهو ما يثبت بمفهوم المخالفة أن المؤمنين لا يجادلون ولا يشكون في القرآن.

ويفيد تعريف الكافرين بالموصولية دلالتين:

- الأولى: الحصر؛ أي أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ كَذَلِكَ أَمْرٌ مَعْلُومٌ مُقَرَّرٌ، فَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْمُرَادُ بِالَّذِينِ كَفَرُوا نَفْسَ الْمُجَادِلِينَ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّ الْمُرَادَ بِكُفْرِهِمْ كُفْرُهُمْ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ بِسَبَبِ إِشْرَاكِهِمْ.
- الثاني: الشمول والعموم؛ أي أَنْ يُجْعَلَ الْمُرَادُ بِالَّذِينِ كَفَرُوا جَمِيعَ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ مِنَ السَّابِقِينَ وَالْحَاضِرِينَ، أَيْ مَا الْجَدَلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِشْرَاكِ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص83).

قال ابن كثير في تفسير الكناية في التقلب: "يقول تعالى: ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان، (إلا الذين كفروا) أي: الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه، ﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد) أي: في أموالهم ونعيمها وزهرتها" (ابن كثير، 1999م، ج7، ص129). والغاية

الحجاجية لهذا القول " اسْتِدْرَاجٌ وَمِقْدَارٌ مِنْ حِلْمِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ وَقْتًا مَا" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص83).

كما يتبين عامل الحصر الحجاجي من تصريح فرعون بقوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ (غافر: 29).

إن المغالطة الحجاجية في كلام فرعون هدفها إجبار المخاطبين من قومه على الإذعان إليه، بحيث " يصبح المتلقي تحت سيطرة المرسل" (الشهري، ص457). ولذلك فهو يستعين في تعزيز تضليله الحجاجي بالسلطة التي يمتلكها على قومه؛ وقد صاغ تلك الحجة بالنفي وأداة الحصر المفيد للإثبات، في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. إذ يعتمد هنا على أدوات حجاج السلطة المتمثل في التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي.

ويظهر الجدل محصورا في طائفة الكافرين الذين يتكلمون بغير سلطان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر: 56).

فلقد بدأت السورة الكريمة بتخصيص الجدل بالباطل وقصره على فئة الكافرين والمعاندين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم من مشركي مكة، وذلك ليفرع عن ذلك تقسيم الجدل إلى قسمين: جدل محمود، وهو جدل مؤمن آل فرعون مع قومه من آل فرعون، وجدل مذموم، وهو الطريقة الجدلية التي كان يسير على دربها فرعون وقومه في محاوراتهم مع هذا العبد المؤمن، أو مع بعضهم بعضا.

ومن خلال العلاقة الحجاجية بين السخرية بالكافرين المجادلين والغلظة عليهم يأتي رد الخزنة عليهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ (غافر: 50).

فرد خزنة جهنّم على قولهم (بلى) جاء بقولهم: ﴿وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ فظاهره التنصل من أن يدعوا الله لهم، وتوكيل أمرهم لأنفسهم بأن يطلبوا ذلك من الله بقولهم: " فادعوا" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص 214)، فالأمر هنا جاء من قبيل الاستهزاء والسخرية منهم، وإثبات أن دعاءهم لا قيمة له.

وفي قوله تعالى: ﴿غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(غافر: 3).

تهدف السلّميّة المعجمية في الآية إلى الجمع بين الترغيب والترهيب في صفات الله عز وجل في تعامله مع ذنوب عباده، وعصيانهم له تعالى، من خلال تراتب الصفات للوصول إلى غاية، وهي ذكر صفات الله عز وجل (منزل القرآن الكريم)، فقد تدرج سلّم المعجم من أوله (غَافِرِ الذَّنبِ)؛ بمعنى ساتر لذنوب عباده ممن تدارك أمره وطلب المغفرة من الله؛ أي " لم يزل لذنوب العباد غفورا من قبل نزول هذه الآية وفي حال نزولها، ومن بعد ذلك... وقال: غَافِرِ الذَّنْب ولم يقل الذنوب، لأنه أريد به الفعل" (الناجح، ص123–124).

وهو (قَابِلِ التَّوْبِ)، أي "يَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وخَضَع لَدَيْهِ. " (الناجح، ص123–124). فيقبل رجوع عباده له مهما كانت ذنوبهم، أو حالهم في الجحود والنكران، فيمحو كل ذلك بالتوبة النصوح الصادقة، وهاتان الصفتان من مستلزمات غاية الترغيب الحجاجية، ومن ثم فصل بينهما بحرف الواو العاطفة لإفادة مطلق الجمع والمشاركة في الحكم.

وهو (شَدِيدِ الْعِقَابِ)، أي " شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له، فلا تتكلوا على سعة رحمته، ولكن كونوا منه على حذر، باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه" (أبو موسى، 2009م، ص22–23). وهي السلّميّة التي تقتضي التخلص من صفات الترغيب إلى صفات الترهيب، لمن أشرك وعاند في كفره ولم يتب عنه.

وهو (ذِي الطَّوْلِ)، أي أن له من السعة والغنى والزيادة والفضل ما يسع عباده وأكثر، "وَالطَّوْلُ مَأْخُوذٌ مِنَ الطِّوَلِ كَأَنَّهُ طَالَ إنعَامُه عَلَى غَيْرِهِ" (أبو موسى، 2009م، ص22–23).

و ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: لَا نَظِيرَ لَهُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ " (أبو موسى، 2009م، ص22–23). وهي جماع الصفات السابقة، وهي الحجة الغاية التي تسعى الحجج السابقة لإثباتها والوصول إلى معناها، ولذلك فإنه حقيق به أن يكون (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)، أي أن يكون هو المرجع وله المآب في الدنيا والآخرة. وهي الصفة النهائية التي تحمل الغاية الحجاجية لتراتب الصفات السابقة، " فَجُمْلَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ، وَأَتْبَعَ ذَلِكَ بِجُمْلَةِ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ إِنْذَارًا بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ لِأَنَّهُ لَمَّا أُجْرِيَتْ صِفَاتُ غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ أُثِيرَ فِي الْكَلَامِ الْإِطْمَاعُ وَالتَّخْوِيفُ فَكَانَ حَقِيقًا بِأَنْ يَشْعُرُوا بِأَنَّ الْمَصِيرَ إِمَّا إِلَى ثَوَابِهِ وَإِمَّا إِلَى عِقَابِهِ فَلْيَزِنُوا أَنْفُسَهُمْ لِيَضَعُوهَا حَيْثُ يَلُوحُ مِنْ حَالِهِمْ" (التحرير والتنوير، ج25، ص 321).

ويمكن بيان القوة الحجاجية لهذه السّلميّة المعجمية كالآتي:

–النتيجة:

–صفات منزل القرآن (الله عز وجل).

-التدرج الحجاجي:

-إِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

-لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ.

-ذِي الطَّوْلِ.

-شَدِيدِ الْعِقَابِ.

-قَابِلِ التَّوْبِ.

-غَافِرِ الذَّنبِ.

ومن خلال الحصر بالاستثناء والنفي لجأ مؤمن آل فرعون إلى الاستدلال التمثيلي ليظهر للقوم المخاطبين الفارق بين حجاجه، وبين حجاج فرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 29).

ويستنبط من خطاب الرجل المؤمن الذي أدخل قومه في الخطاب عندما قال: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 29). أن فرعون هو المعرض به في هذا الخطاب، إذ إنه هو الذي كان يصرف نظر القوم عن دعوة الرجل المؤمن قائلا: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (المومني، ص 175).

حيث يستنبط من هذا الحصر أنه أراد أن رؤيته هي الرؤية الصحيحة، ويؤكد على هذا الزعم بأن جعلها رؤية الاهتداء، ومن ثم فغيرها سيكون رؤية الضلال، فقال: وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ. ليزيل الشك من نفوس المخاطبين من قومه، من أن يكون لهم إله غيره.

وفي سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: 56]. يرى ابن عاشور أن الحصر بالاستثناء المسبوق بالنفي هو مِنْ تَأْكِيدِ الشَّيْءِ بِمَا يُشْبِهُ ضِدَّهُ (التحرير والتنوير، ج25، ص319). من أجل تعزيز الغاية الجاية الحجاجية وهي "زِيَادَةِ تَحْقِيقِ انْتِفَاءِ ذَوْقِ الْمَوْتِ عَن أجل الْجَنَّةِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ أَلْبَتَّةَ" (التحرير والتنوير، ج25، ص319).

2- الاستثناء بـ(إنّما):

كما في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر: 39).

يستعين مؤمن آل فرعون بأسلوب القصر بـ (إنما)؛ ليصف حالهم في تشبث قومه بالدنيا التي وصفها بأنها متاع، " وَالْقَصْرُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ قَصْرٌ مَوْصُوفٌ عَلَى صِفَةٍ، أَيْ لَا صِفَةَ لِلدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهَا نفع موقت، وَهُوَ قَصْرُ قَلْبٍ لِتَنْزِيلِ قَوْمِهِ فِي تَهَالُكِهِمْ على مَنَافِعِ الدُّنْيَا مَنْزِلَةَ مَنْ يَحْسَبُهَا مَنَافِعَ خَالِدَةً" (التحرير والتنوير، ج25، ص149). وهذا الحصر غايته الوصول إلى إقناعهم بتلك الحقيقة، ومن ثم فقد أكد عليها باستعمال باستخدام أداة التوكيد "إن " ليقدم لهم مسوغات وصف الدنيا بالمتاع، بالتأكيد على أن الآخرة هي دار الإقامة والخلود.

فبناء الخطاب عن طريق الحصر والتوكيد هو بناء لغوي حجاجي يحفز المخاطبين إلى الاقتناع بما يدعوهم إليه، لأن موقفهم الرافض صار محاطا بين حصر لحقيقة دنيوية مشاهدة، وتأكيد على حقيقة أخروية غيبية.

يبني مؤمن آل فرعون مفارقة بين ما يدعوهم إليه وبين ما هم متمسكون به، عبر خطاب مبني على المقارنة بين حالين؛ حال الدنيا الزائلة، وحال الآخرة الخالدة، فالخطاب يهدف إلى الموازنة بين نقيضين؛ حتى يتبين الشيء بضده عن طريق المقارنة بين ما يتمسك به المخاطب من اعتقادات، وبين ما يدعوه إليه المتكلم من إقناع وتسليم.

ويزاوج ابن عاشور بين حالين لإبراز الدور الحجاجي للقصر بالأداة (إنما) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: 58). فالقصر المستفاد من (إِنَّمَا) يؤدي غاية حجاجية تتمثل في الرد "عَلَى الْمُشْرِكِينَ إِذْ قَدْ سَهُلَ لَهُمْ طَرِيقُ فَهْمِهِ بِفَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَابَلُوهُ بِالشَّكِّ وَالْهُزْءِ" (التحرير والتنوير، ج25، ص 321).

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أن الحروف النحوية في القرآن الكريم لا يمكن النظر إليها بوصفها أدوات تركيبية محايدة أو عناصر لغوية مساعدة فحسب، بل تبيّن أنها مكوّن أساسي في بناء الخطاب القرآني وحركته الدلالية والحجاجية. فقد أظهر التحليل أن الحروف، ولا سيما حروف الجر وعوامل النحو، تؤدي أدوارًا دقيقة في توجيه المعنى، وضبط العلاقات بين الألفاظ، وتعميق المقاصد البلاغية للنص، بما يجعلها فاعلة في إنتاج الدلالة لا تابعة لها. كما كشفت الدراسة أن اختلاف الحرف أو تغيّر موقعه في السياق القرآني يفضي إلى تحولات معنوية مقصودة، تسهم في تعزيز الرسائل التعليمية، وترسيخ التوجيه القيمي، وتكثيف الخطاب التحذيري، وفق مقتضيات السياق والمقام. ويؤكد ذلك أن البنية النحوية في القرآن الكريم بنية واعية ومقصودة، تتكامل فيها الوظيفة النحوية مع البعد البلاغي والحجاجي، بما يضمن أعلى درجات التأثير في المتلقي عقليًا ووجدانيًا. وانطلاقًا من هذه النتائج، يتضح أن الإعجاز اللغوي في القرآن لا يقتصر على

المستويات المعجمية أو البيانية الكبرى، بل يتجلى أيضًا في أدق الوحدات اللغوية، حيث تُسخَّر الحروف النحوية لإنتاج خطاب متماسك، مؤثر، ومفتوح على تعدد الدلالات، وهو ما يفتح آفاقًا بحثية جديدة أمام الدرس النحوي والبلاغي في تناول النص القرآني من منظور تداولي وحجاجي معاصر.

النتائج:

1. أظهرت الدراسة أن حروف الجر في القرآن الكريم، مثل: كاف الجر، ومن، والباء، وفي، وعلى، وإلى، وعن، ولام الجر، لا تقتصر وظائفها على الربط النحوي بين مكوّنات الجملة، بل تؤدي أدوارًا دلالية وحجاجية متكاملة، تسهم في بناء المعنى وتوجيهه ضمن سياقه المقامي. وقد تبيّن أن اختيار هذه الحروف في المواضع القرآنية يخضع لمنطق دلالي دقيق، يعكس وعيًا لغويًا مقصودًا في تشكيل الخطاب.

2. يسهم توظيف الحروف النحوية في ترسيخ معنى محدد لدى المخاطَب، إذ تعمل بوصفها آليات لغوية فاعلة في توجيه الفهم، سواء في الخطاب التوجيهي الذي يرمي إلى الإرشاد وبناء القيم، أو في الخطاب التحذيري الذي ينبه إلى العواقب والمآلات، أو في الخطاب الإرشادي الذي يوضّح المسار الصحيح للفعل الإنساني. وبذلك تتحول الحروف من عناصر بنيوية صامتة إلى أدوات توصيل مقصدي تسهم في تشكيل أفق التلقي.

3. تتجلى الوظيفة الحجاجية للحروف في عدد من الآليات الأسلوبية والدلالية، من أبرزها: التدرج في عرض المعنى، والتوكيد في ترسيخ القناعة، والاستعارة في نقل الدلالة من المجال الحسي إلى المجرد، والمصاحبة في بيان العلاقة بين الأفعال وملابساتها، والتعليل في كشف أسباب الأحكام، والتخصيص في تضييق الدلالة وتحديد المقصود بدقة. ويعكس هذا التنوع الوظيفي براعة النص القرآني في توظيف أبسط الوحدات اللغوية لتحقيق أقصى درجات الإقناع والتأثير.

4. يبرز أسلوب النفي والاستثناء، ولا سيما أداة الاستثناء (إلا)، قدرة اللغة القرآنية على ضبط الدلالة وتحديد الفئة المستهدفة بالخطاب، من خلال نفي العموم ثم استثناء المقصود، بما يوجّه انتباه المتلقي إلى الحقائق الجوهرية المراد ترسيخها. ويسهم هذا الأسلوب في تعزيز الحجة، وتركيز المعنى، ومنع التباس الدلالة، الأمر الذي يؤكد التكامل بين البنية النحوية والبعد الحجاجي في الخطاب القرآني.

التوصيات:

1. التأكيد على أهمية تعميق دراسة الحروف النحوية في النصوص القرآنية، بوصفها مدخلًا أساسًا لتحليل البنية الحجاجية للخطاب القرآني، لما تمثّله هذه الحروف من أدوات فاعلة في توجيه

المعنى وبناء الدلالة المقصودة. ويُوصى بتوسيع نطاق التحليل ليشمل السياقات المختلفة التي ترد فيها الحروف، وربطها بالمقام التداولي وأهداف الخطاب.

2. الدعوة إلى تطوير برامج تعليمية ومقررات دراسية تسلّط الضوء على العلاقة التكاملية بين النحو والحجاج في القرآن الكريم، سواء في المراحل المدرسية أو في التعليم الجامعي، بما يسهم في تجاوز الطابع التقليدي لتدريس النحو، وتحويله إلى أداة تحليلية تساعد المتعلّم على فهم النص القرآني في أبعاده الدلالية والإقناعية.

3. توظيف نتائج هذه الدراسة في مجالات البحث البلاغي واللغوي المعاصر، ولا سيما في الدراسات اللسانية والتداولية الحديثة، بهدف تعميق فهم النصوص القرآنية والكشف عن آلياتها الحجاجية الدقيقة. كما يمكن الإفادة من هذه النتائج في المقاربات البينية التي تجمع بين النحو والبلاغة وتحليل الخطاب.

4. اقتراح توسيع آفاق البحث المستقبلية ليشمل دراسة أثر الأساليب النحوية الأخرى، مثل أدوات الشرط، وأدوات التوكيد، وأساليب النداء، في بناء الحجاج القرآني، لما تحمله هذه الأدوات من طاقات دلالية وإقناعية تسهم في تشكيل الخطاب وتوجيه المتلقي، وبما يسمح ببناء تصور أكثر شمولًا عن البنية الحجاجية للنص القرآني.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن المنير، جمال الدين. (2006). الأنوار المضيئة في تفسير القرآن (ج1). القاهرة: مكتبة المنار.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (1999). التحرير والتنوير (ج24–26). تونس: دار التونسية للنشر.
- ابن مالك، جمال الدين. (1993). شرح التسهيل (ج3). بيروت: دار الكتب العلمية.
- آن روبول، جاك موشلار. (2003). نظرية المقصد التواصلي. باريس: مطبعة الدراسات الحديثة.
- البصري، ابن عصفور الأشبيلي. (1985). شرح جمل الزجاجي (ج2). القاهرة: مكتبة النشر.
- الجبالي، مهند. (2022). بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار في القرآن الكريم. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث, 2(7). https://doi.org/10.56989/benkj.v2i7.254
- الجرجاني، عبد القاهر. (1980). دلائل الإعجاز. القاهرة: دار الفكر العربي.

- خرما، عبد الله. (1978). الخطاب والتحكم الاجتماعي. القاهرة: مركز الدراسات العربية.
- الرازي، الفخر الرازي. (1990). المحصول في تفسير القرآن (ج27). بيروت: دار الفكر العربي.
- الزجاج، أحمد. (1980). معاني القرآن (ج4). القاهرة: دار الفكر العربي.
- الشهري، عبدالله. (2015). الخطاب التوجيهي في القرآن الكريم. الرياض: دار النفائس.
- الطبري، محمد بن جرير. (1992). جامع البيان في تفسير القرآن (ج1). بيروت: دار الفكر.
- عبد المطلب، حسن. (2000). الأساليب القرآنية في الحجاج والإقناع. القاهرة: دار الثقافة العربية.
- العمري، عبدالله & العصيمي، ماجد. (2026). الحِجاج البلاغي للنفي والاستفهام في سور آل حم: دراسة تحليلية. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث, 6(2). https://doi.org/10.56989/benkj.v6i2.1782
- الفراهيدي، الخليل. (1990). العين (ج2). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفيروز آبادي، محمد بن يحيى. (2001). بصائر ذوي التمييز. بيروت: دار الكتب العلمية.
- كاظم، علي. (2005). النفي والاستثناء في القرآن الكريم. بغداد: دار الرشيد.